



القَصِيصُ

ضيف غريب

للكتاب السيدى الفكه المعروف

هاس زبتر سزوم

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى

—————

كنت قد فرغت منذ لحظات من تناول فطوري ودافيت إلى الشرفة ... كان الخليج ينبسط أمامي بشطآنه الفيحة الترامية، ولونه الأزرق الداكن، وتتألق فوق مياهه شمس متوهجة تنقد اقتاداً.

وبعد أن ثبت مقعدى بحيث أواجه مهب الريح، أخذت استمتع بالنسيم الرخي الفاتر فشاعت في حنايا قلبي دواعي الغبطة والابتهاج ...

ناولني الخادم برقية ... وقد شمعت وأنا أتناولها منه بأني سأجد فيها حتما ما يضائقني وينفص على عيشي رغم اني كنت

أجهل بطبيعة الحال ما قد تتضمنه بين ثنايا سطورها ...
صدمت زوجتى أيضاً إلى الطابق الذى كنت فيه.. فقلت لها
— وصلتني برقية .. فهل لك أن تحزرى ما فيها ؟ ...

— ليس لدى الوقت الكافى لحل الألفاظ وفك الأحاسى ..

فضها وانظر ما فيها ... فضضت الغلاف فقرأت :

بمحت عنك فى المدينة ... سأتحرك فى الرابعة والثلاثين ...
تحياتى لزوجتك
«فردريك»

قلت لزوجتى .

— هل تعرفينه ؟ .

— كلا .. ومن يكرن فردريك هذا ؟ ..

لا أعلم ... أنا أعرف شخصاً واحداً بهذا الاسم وهو ليس بمن

يطيب له أن يبحث عنى أو يحظر له بيال أن يشخص إلى ...

— لعل البرقية ضلت طريقها إلينا : ...

— لا ! ... فالعنوان كامل .ليت شعرى أى فردريك هذا ؟ ..

إنه سيصل فى الساعة ... يجب أن ترتدى ثياباً لائقة ، ثم اغسلى

الأولاد قبل ربع ساعة فقط من الوعد ليمكن إيقادهم نظيفين ...

غادرتنى زوجتى ، فخلوت إلى نفسى وإلى أفكارى . ثم نسيت

فردريك تماماً إذ فقدته بين زورق البخارى والجزيرة التى لجأت

إليها التماساً للراحة والهدوء ...

مواعيد تقديم هذه الكتب، ولكن

ينظر لأن الوزارة تعيد النظر فى

جميع الخطط والناهج لتنظيم الدراسة

فى معاهد التعليم السام بمرحلتيه

الابتدائية والثانوية وما فى مستواها

قد قررت الوزارة تأجيل موعد

هذه المسابقات التى سبق الاعلان

عنها الى موعد آخر تحدده الوزارة

فما بعد

وستعيد مراقبة التوريدات

ما وصل إليها من كتب المسابقات

إلى حضرات مؤلفيها

٤٥٤٢

وزارة المعارف العمومية

مراقبة التوريدات - اعلان

سبق أن أعلنت الوزارة عن الحاجة

إلى كتب دراسية للمدارس الابتدائية

ولمدارس المرحلة المتوسطة فى المواد

الآتية :

قواعد اللغة العربية ، والمطالعة

العربية ، ومبادئ اللغة الفرنسية ،

ومبادئ السلوك وتديبر الصححة ،

والغربية الوطنية ، والجغرافيا ، والتاريخ

والمعلوم العامة ، والحساب والجبر ،

والهندسة

وكانت الوزارة قد حددت

كان النهار رائماً حقاً ...

وفي أثناء تناول الغداء قلت لزوجتي :

— الساعة السابعة بالضبط ... ألا يجب أن نذهب لاستقبال

فردريك ؟

هبطنا إلى الميناء ...

كان المرفأ يهوج بعلية القوم الصلفاء الذين تمودوا تمضية

أوقاتهم فيه على الدوام غائبين سادرين ... وكان هناك المصور

الشباب ذو القفمة الجراء ، والشدة المتمددة المترنة ، كما كانت هناك

النساء اللاتي درجن على أن يصدقن بسذاجة متناهية كل ما يقال

لهن :

وما إن رمقني هؤلاء ببيوتهن الزرق الواسمة التي حملت إلى

قلبي كل ما في أرواحهن من مساني الروءاء والدلال حتى ابتدرت

مخاطباً إياهن :

— نشبت ثورة عظيمة في باريس هذا الصباح ، وأعلنت

الأحكام العرفية ، وقد بلغ دوى المدافع والانفجارات من العنف

والشدة بحيث تعذر على السكان أن يسمع الواحد منهم صوت محبته.

لهذا فقد اضطر الجميع إلى تخلية المدينة والمخرج إلى الأرض القضاء

لمواصلة تروثهم ولنوم هناك ...

صرخت إحداهن بصوت حاد مؤلم. وكانت أمها تقيم بيارس:

— أمي ! .. أمي ! ...

فقلت مسلماً إياها

لا تخافي ولا تخزني ! . إنهم نقلوا النساء والأطفال جميعاً إلى

ساحة مشوشبة خضراء قبالة المدينة ...

أخذت الباخرة تقترب شيئاً فشيئاً وكان القول قد تبعه العمل ...

قلت لزوجتي :

— طاملي فردريك بمنهي الرقة واللطف

التصقت الباخرة بالميناء ... فحياتي قائدها ، كما حيا المصور

الشباب ، والسيدة التي هتفت به بقولها : هل من أخبار جديدة ؟ .

خرج من الباخرة رجل وخط الشيب رأسه ، ونال الزمان من

فوديه ، فقلت في نفسي :

أستبعد أن يكون فردريك هو هذا ... ثم عرفته على التحقيق .

لقد كان الرجل الذي تزوج حديثاً سيدة تملك متجرأ . في المدينة

لبيع القمصان ، وقد آبت صاحبه مفادرة عملها لأن موسم الصيف

ملائم جداً لبيع أكبر عدد من باقات القمصان ...

ثم خرجت إلى البر سيدة وبنتها . لقد عرفتهما أيضاً ولوحت

لها بيدي ...

وعلى أثر هؤلاء الثلاثة غادر الحفينة رجل غريب ، ضخم

الحفنة ، متين البنيان ، عريض ما بين المنسكين ، يرتدى بدلة في غاية

الأناقة وتوحى مشيته بالجرأة والاعتداد بالنفس ...

وما إن لمعني حتى تقدم نحوي ووضع يده على كتفي وقال بصوت

بمازجه الود والمرح

— ها لقد حضرت أخيراً أمها الشيخ الماجن ! ...

بات لزاماً أن يكون هذا هو فردريك بالذات ...

تولتني الحيرة والدهول ... إنه لم يسبق لي أن رأيت هذا

الرجل في حياتي من قبل . ومع ذلك فهو يعرفني ، بل ويتحدث

إلي كما لو كنا صديقين حميمين منذ سنين . انقمصنا في الثرثرة

وتبادلنا الماجن ، غير مرة . إلى أن قال أخيراً :

— والآن كيف أنت ؟ . هل الأطفال بخير ؟ . وكيف حال

مرتا ؟ ...

إلهي . إلهي ! إنه يعرف حتى اسم زوجتي .

— شكراً لك ... إننا جميعاً بخير ... إننا جميعاً بخير .

شكراً لك ... شكراً لك ...

مد إلى حقيبة كان يحملها :

-- خذ هذه أنت بنفسك . أما الحقيبة الكبيرة فستأتي بها

العربة بمد قليل . يبدو لي أن حضوري كان مفاجأة لك . أليس

كذلك ؟

وهنا لحقت بنا زوجتي أيضاً .

انبسطت أسارير وجه فردريك وأبرقت عيناه ، وانحنى أمامها ،

حتى كاد أن يمس الأرض بناصيته ثم قال مخاطباً إياها :

— في كل مرة أراك أجمل مما كنت في المرة السابقة !

رمقني زوجتي بنظرة شرراء مريبة ولكنني استدركت الموقف

فقلت لها :

— ستأتي حقيبة فردريك الكبيرة في العربة بمد قليل ...

لفردريك حقيبة غير هذه التي أحملها بيدي لفردريك حقيبة

كبيرة ... ثم أخذت أتمم بهذه الكلمات الأخيرة بغير وهي أر

شهور ...

أما زوجتي فقد كانت جامدة كالصم ، قاسية كالصخر .

ارتقينا ثلاثتنا النل إلى (الفيللا) التي كنت أقيم فيها . فقطع

- علينا فردريك الصمت وقال موجهاً الحديث إلى :
- ما أجل المكان الذي اخترته لنفسك ! بكم استأجرته ؟
ثم استدرك قائلاً : ولكن لماذا أسأل هذا السؤال ؟ ... أى غرفة
ستخصص لي ؟ ...
- اختر أى مكان تشاء أى مكان تشاء أيها الفتى الماجن ؟
قال لي فردريك :
- عهدى بك لم تشعب كثيراً
فأجبت مرنيكا
- يوسفنى لانكون أنت كذلك .
— ماذا تقول ؟ ثم ما هذا الهراء ؟ هل كبرت حقاً ؟
إن وزنى لا يزال ثمانين كيلو وهو وزنى بعينه منذ ست سنوات ...
ثم أدار رأسه إلى زوجتى
- أجمدنى الآن أسمن مما كنت سابقاً يا مرنا ؟
أجابت زوجتى بجفاء ظاهر
- لا ، لم تسمن إلا قليلاً
اصطحبنا فردريك إلى غرفة الاستقبال ، وعند ما غادرنا
الغرفة قالت لي زوجتى بجدية
- ومن يكون هذا الطفيل ؟
— هذا هو فردريك ، الرجل الذى أبقى إلينا نبأ حضوره
هذا الصباح .
- حسن جداً : وهل ... سيدى ... هنا ... فى بيتنا ؟
— هذا ما تدل عليه قرائن الأمور الآن . أو هذا ما يراه هو
نفسه على الأقل .
- كنا واقفين فى فناء الدار ، فأطل فردريك برأسه من النافذة :
- أريد صابوناً فخمينى الكبيرة لا نصل
التفت إلى زوجتى وقلت :
- مرنا ! احضرى له قطعة من الصابون سريعاً .
ولكن مرنا لم تحفل بكلامي بل وارت بوجهها شطط فرقة
النوم ، وذرايعها إلى الأعلى ثم ألقت هناك بنفسها على السرير .
كان هذا ديدنها فى حالات الغضب والهياج .
فاضطرت إلى أن أحضر الصابون بنفسى
- كان فردريك وقد خلع عنه سترته منهكاً فى تنظيف
ثيابه وإصلاح شأنه ، وعند ما رأنى مقبلاً عليه ابتدرنى قائلاً :
- لم أكن سعيداً فى حياتى فى الآونة الأخيرة كما قد تظن .
لقد هزتنى (ألبا) هزة عنيفة وهدت من كيانى .
— اعرف ذلك تماماً ...
وهنا أخذت أسائل نفسى ... من هى (ألبا) هذه يا ترى ؟
امتزج هذا الرجل أم هو يمدنى عن خطيئته فحسب ؟ ...
- النساء هكذا شأنهن دائماً
— أجل ! ... أنهن هكذا دائماً
— لك ما تشكو منه ؟ ...
- ليس كثيراً ! . وأما الآن فليس لدى ما أشكو
منه إطلاقاً
- ألبا ، تقوم برحلة الآن
— هيه ! هذا حسن
— نعم نعم إنها هى التى طلبت ذلك .
— وهذا أحسن طبعاً .
- فرغ ضيفنا من ارتداء ثيابه فدلقنا إلى الشرفة . وما إن
أفرغ كأساً من (البنج) فى جوفه حتى كانت زوجتى أيضاً قد
لحقت بنا وشاركتنا حديثنا .
- كان فردريك فى ذروة نشوته ومرحه . يمزح ، يثرثر ، يثير
فهقهة إثر فهقهة حتى لقد أوشك ان يضى على زوجتى ثلاث ضرات
من قرط الضحك .
- وصلت الحقيبة الكبيرة ، وكان أول عمل قمت به هو أننى
هرعت إلى السلم لأقرأ عليها على الأقل العنوان الذى قد يرشدنى
إلى هوية صاحبها .
- فردريك لند نهولم .
هذا هو الاسم الذى وقع عليه بصرى وأنا أنقرس جيداً فى
أحد جانبي الحقيبة .
- لم يتبدد شىء من الظلام الذى كان يكتنف ذهنى .
وعلى هذا المنوال أقام فردريك لند نهولم هذا بيتنا . غير أنه لم
تكذب نمر سوى ثلاثة أيام فقط متى كانت قد استحكمت بيننا وبين
ضيفنا أوامر الألفه والمودة ، واشتدت الرشاخ التى تربط كلا
مننا بالآخر .
- كان فردريك قد أصبح عنصراً ضرورياً فى حياتنا اليومية
لا يمكن إغفال أمره أو النقص من أهميته . فهو حينئذ يذهب الأطفال

ويلاهم ، وطوراً يساعداً في قيادة زورقي البخاري .

وقد استطاع بظرفه وخفة روحه أن يكسب حتى قلب زوجتي وثقتها .

قالت لي زوجتي ذات يوم :

— ليتك أنت أيضاً مثل فردريك دائم المرح، يادي البشاشة، مستعداً لمعونة الغير في أي لحظة ! إن الإنسان ليكاد لا يشمر بأى شجر أو سام عند ما يكون قريباً منه .

استسلمت ليعمر بن الأبل والذكير اليبين ، يتأمر الحياة رتيبة هادئة في بيتنا لا يكدر من صفوها وإشراقها شيء يستحق الذكر .

وبعد مضي ثمانية أيام تسلّم فردريك خطاباً، وما فاضه وقرأه حتى قطب جبينه وبدت على قسماث وجهه علامات الجد والاهتمام ثم قال :

— أصدقاؤي الأعزاء . لقد انتهى عملي هنا ، يجب أن أسافر غداً صباحاً بدون إبطاء . إن (اللا) قد عادت من رحلتها وأظنكم تفهمون معنى ما أقول .

— نعم ! نعم ! أفهم ذلك حق الفهم — ولكنني أيضاً آسف أشد الأسف على فراقك أيها الصديق العزيز . لقد قضينا معاً أياماً سعيدة . هل لك أن تمدنا بالموودة إلينا ثانية ؟

أجاب فردريك

هذا محتمل ! ربما !

وعند ما سمعت زوجتي نبأ اعترام فردريك الموودة، وإن «اللا» كانت هي السبب في ذلك قالت والتأثر باد على صوتها :

— إن «اللا» هذه لشريرة مستهترّة !

وفي صباح اليوم التالي شيعنا فردريك إلى الباخرة، ولم يتأخر أي واحد منا في النوم برغم أن الوقت كان مبكراً جداً .

صعد فردريك إلى سطح الباخرة ، وعند ما دنا موعد الرحيل ظل يلوح لنا بمجنبيه الأبيض إلى أن ابتعدت السفينة وتوارت عن الأنظار .

قلنا راجعين إلى البيت وارجمين وكان على رؤسنا الطير ، وعند ما وصلنا باب سور الحديقة توقفتنا عن السير لحظة . فابتعدت زوجتي قائلة :

— قل لي بربك من كان هذا الرجل ؟ .

— لا أعلم .

كنا قد أحبيناه دون أن يعرف أحدنا الآخر . وعندما فارقنا خيل إلى أنني فقدت شيئاً ثميناً جداً وأحسست بالفراغ يحيط بي من كل صوب .

وفي غرفتي وجدت على المنضدة خطاباً فاخترقته في مثل سرعة البرق وتلوته وأنا أكاد أنهم ما فيه التهاما . ثم أعدت تلاوته من جديد وأنا مطرق سام غارق في لجة من التأمل العميق . وإليك ما جاء فيه .

سيدى الأديب !

بينما أنا جالس ذات يوم مع زمرة من الأصدقاء في أحد الأماكن نتحدث عن أحسن مكان استطيع أن ألقى فيه عطلي الأسبوعية إذ ذكر أحدهم اسمكم وأثنى على جمال البقعة التي تنزلون فيها وأوصاني حتى بالنزول في ضيافتكم . ولكنني اعتذرت لعدم وجود تمارف سابق بيننا . غير أنه لمت في ذهني في تلك اللحظة فكرة طريفة فقلت لأصدقاؤي : هل تراهنونني على أن أذهب إلى هذا الرجل بدون أن يعرفه بي أحداً أو ألتقي دعوة منه ، فأمكنك في ضيافته طول أسبوع كامل ؟ . فقبلوا ذلك وتقرر تنفيذ الفكرة . التقطت عنكم وعن أمرتكم بعض المعلومات ثم حدثت بعد ذلك ما أنتم به أدري وأعرف . لقد كسبت الرهان اليوم . ولكنني استشعر خجلاً شديداً كلما تذكرت ما جرى . اضطررت إلى أن أعترف لكم بالحقيقة . ساعفوني . لن أقبل رهاناً كهذا بعد الآن وبخاصة إذا كنتم أنتم طرفاً فيه .

المخلص

فردريك

خرجت من الغرفة وناولت الخطاب إلي زوجتي فألقت هي الأخرى أيضاً عليه نظرة خاطفة ثم صاحت : مدهش : مدهش : . وأعدت تلاوته ثانية .

وبعد أن أرسلت مرتنا نهيضة عميقة أدارت رأسها نحوى

وقالت :

— مها يكي فقد كان انساناً نبيلاً حقاً .

أحمد مصطفى